

يا زهراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الثَّائِرُ الْحُسَيْنِيُّ الْوَفِيُّ... الْمُخْتَارُ الثَّقَفِيُّ

الْحَلَقَةُ الثَّالِثَةُ بَعْدَ الْعَاشِرَةِ ٢٩/٨/٢٠١٥م

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ جَمِيعًا..

إِذَا كَانَ لَنَا قِصَّةٌ فِي الْحَيَاةِ فَصَّتْنَا الْحُسَيْنِ.. لِسَبَبٍ بَسِيطٍ وَوَاضِحٍ جِدًّا عَلَى الْأَقْلِّ عِنْدَنَا.. الْحُسَيْنُ الْحَقِيقَةُ
الْوَحِيدَةُ فِي حَيَاتِنَا وَالْبَاقِي كُلُّهُ سَرَابٌ.. حَاءِ سَيْنِ يَاءِ نُونٍ مَثْنُ الْمُتُونِ.. وَكُلُّنَا نَحْنُ وَمَا حَوْلَنَا.. وَمَا عِنْدَنَا
وَعِنْدَ غَيْرِنَا.. مِنْ حَقٍّ أَوْ بَاطِلٍ.. فِي حَوَاشِي الْحَوَاشِي..

.. يَا حُسَيْنُ ..

كَانَ الْحَدِيثُ فِي الْحَلَقَتَيْنِ الْمَاضِيَتَيْنِ فِي أَجْوَاءِ قَانُونِ الْمَكْرِ، وَوَصَلَ بِنَا الْكَلَامُ فِي الْحَلَقَةِ السَّابِقَةِ لِلْحَدِيثِ
عَنِ الْأَنْشِطَةِ الْإِبْلِسِيَّةِ، تَحَدَّثْتُ عَنِ التَّحَسُّسِ أَوْ مَا اصْطُلِحَ عَلَيْهِ فِي الْكِتَابِ الْكَرِيمِ وَكَلِمَاتِ الْمَعْصُومِينَ
إِسْتِرَاقُ السَّمْعِ، وَتَحَدَّثْتُ عَنِ الْإِشَاعَةِ وَالْإِذَاعَةِ الْإِبْلِسِيَّةِ، وَقَلْتُ بَأَنَّآ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَوَاجِهَ هَذِهِ الْأَنْشِطَةَ
بِحَسَبِ قَانُونِ الْمَكْرِ بِحَسَبِ تَعَالِيمِ الْأَثَمَةِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ نَوَاجِهُهُ ذَلِكَ بِالْكَتْمَانِ وَبِالتَّحَصُّينِ، بِالْحِصَانَةِ،
وَقَلْتُ بَأَنَّ الْكَتْمَانَ:

- كَتْمَانٌ بَسِيطٌ وَهُوَ السَّكُوتُ.
- وَكَتْمَانٌ الْكَتْمَانُ.
- وَالْكَتْمَانُ الْكَيْدِيُّ أَوْ كَيْدُ الْكَتْمَانِ.

قد أُقْرَبُ المعنى من مصاديق كيدِ الكتمان أو الكتمان الكيدي ما جاء في أحاديثهم الشريفة صلواتُ الله عليهم من أنَّ عقلَ المؤمن وهم يتحدثونَ عن المؤمن بموازينهم، من أنَّ عقلَ المؤمن، المؤمن المرضي عندهم القريب منهم، من أنَّ عقله على عشرة أجزاء، على عشرة أعشار، تسعة أعشارِ فطنة، ذكاء وفطنة وعُشْرُ تغافل، تغافل وليس غفلة، أي أنَّ الإنسانَ يتظاهرُ بالغفلة، فتسعةُ أعشارِ فطنة ونباهة وذكاء وتوقُّد والتفات لِمَا يجري حوله ولِمَا يدور في الخفاء وعُشْرُ هو تغافل، تظاهرُ بالغفلة وعدم الالتفات وعدم الانتباه، والعمليةُ بحاجةٍ إلى موازنةٍ حكيمة، موازنة بين العقل والحلم والكتمان والاتزان وعدم التسرع، هكذا تتصوَّرُ صورةُ هذا المضمون، تسعةُ أعشارٍ من الفطنة وعُشْرُ تغافل، والتغافلُ هذا ينفَعُ في التعاملِ مع الصديق ومع العدو، أمَّا مع الصديق فلربَّما في بعض الأحيان يُحاولُ الصديقُ أن يخدعَ صديقه لأمرٍ ما، لغايةٍ في نفسه، لتحقيقِ مصلحةٍ مُعيَّنة، فَمَن الحِلْمِ ومن الكرامةِ ومن المروءةِ إذا كانَ هذا الأمر الذي يُريدهُ ذلك الصديقُ أمراً مهمَّاً بالنسبةِ له فليتغافل الحكيمُ وليتغافل المؤمنُ، يتغافل عن عيبِ أخيه، يتغافل عن أمورٍ تُسبِّبُ الحرجَ لصديقه، لأخيه وكأنَّه لم يكن قد رآها ولم يكن قد علِمَ بها، وتغافلُ عن العدو، هذا التغافل عن الصديق يدفعُ المشاكلَ، يسدُّ الخللَ في العلاقاتِ يُدسِمُ المحبَّةَ ويُعطي الصديقَ الأمانَ، أمَّا التغافلُ معَ العدو فإنَّ العدوَّ يحاولُ أن يخدعَ المؤمنَ، يحاولُ أن يخدعَكَ، يُحاولُ أن يخدعنا، وعندهُ برنامجٌ يريدُ أن يُضِرَّنا ببرنامجهِ هذا، بمخطَّطهِ هذا، نحنُ نتغافلُ، نُشعرهُ بأننا قد خُدِعنا ليستمرَّ في مخطَّطهِ ونحنُ من جهتنا نحاولُ أن نحترزَ من ضررِ هذا المُخطَّطِ، نحترزُ بقدرِ ما نتمكَّنُ ونحنُ بذلك ندفعُ الضررَ عن أنفسنا وفي نفسِ الوقتِ نستكشفُ نقاطَ القوَّةِ والضعفِ عندِ العدو، وتلكَ قضيَّةٌ في غاية الأهميَّةِ، في غاية الأهميَّةِ أن نعرفَ أنفسنا، أن نعرفَ نقاطَ القوَّةِ والضعفِ عندنا، وفي غاية الأهميَّةِ أن نعرفَ عدونا، أن نعرفَ نقاطَ القوَّةِ والضعفِ عنده، ومن هذه الوسائلِ التغافلُ معَ النباهةِ والذكاءِ، يتظاهرُ الإنسانُ بالغفلةِ ويتظاهرُ الإنسانُ بالانخداعِ، ينخدعُ، لا يُخدعُ، يُخدعُ يعني خُدِعَ، يعني مرَّت عليه الخديعةُ، لكن ينخدعُ يعرفُ بأنَّ الطرفَ الآخرَ يُريدُ أن يخدعه فهو يتظاهرُ بأنَّه قد خُدِعَ، وإمَّا يتظاهرُ وينخدعُ تارةً لمنفعةِ الصديقِ وأخرى للخلاصِ من العدو، وهذا هو مصداقُ من مصاديقِ كتمانِ الكيدِ أو الكتمانِ الكيدي أو كيدِ الكتمانِ، عبَّرَ ما شئت، هذا بالنسبةِ للكتمانِ، ومرَّ الحديثُ عن ذلك لكنني أردتُ أن أوردَ هذا المثالَ الذي يتكرَّرُ في كلماتِ أهلِ بيتِ العصمةِ بهذه الصيغةِ

التي ذكرتها أو بصيغٍ مُقارِبَةٍ تتحدّثُ عن مُفرداتِ عقلِ المؤمن الذي يُريدهُ أهلُ بيتِ العصمة من أشياعهم ومن أوليائهم.

أمّا التحصينُ أو الحصانة: مرّ الكلامُ عن التحصين وعن الحصانة وهو الاعتصام، الاعتصامُ بإمامنا، اعتصامُ كلِّ شيعةٍ بإمامها ونحنُ يجبُ علينا أن نعتصمَ بإمامِ زماننا، ولنُ نستطيعَ أن نعتصمَ بإمامِ زماننا ما لم نعرفَ قدرَ وعظمةِ نعمةِ ولايةٍ وإمامةِ إمامِ زماننا، وذلك لن يتحقّقَ إلّا أن نعرفَ إمامِ زماننا، قطعاً بقدرنا، معرفةً إمامِ زماننا بقدره ذلك أمرٌ مُستحيل، لكننا نَسعى جاهدين ونبدلُ كُلَّ ما بوسعنا، نحاولُ بقدرِ ما نتمكّن أن نعرفَ إمامِ زماننا بقدرنا، بحسبِ ما تتمكّن قوانا الإدراكية من الإمامِ به ومن الإحاطة به وغايته ما يُمكننا أن نُدرّكه أن نشمّ العطرَ كزجاجةِ عطرٍ خفيفةٍ في مكانٍ وفاحٍ منها شيءٌ من عطرها فانتشرَ العطرُ في الهواءِ وفي فضاءِ المكانِ فوصلَ إلى مشامنا، نحنُ لا نعرفُ أينَ هي زجاجةُ العطرِ ولا نعرفُ ذلك العطر، ما هي تراكيبه، ما هي مكوناته، ما هي حقيقته، زجاجةُ عطرٍ خفيفةٍ عن أنظارنا في مكانٍ ما فاحٍ منها شيءٌ من العطرِ الذي وصلَ إلى مشامنا، لا زجاجةُ العطرِ وصلت ولا العطر وصل، إنّما وصلت إلى مشامنا آثارٌ من عطرٍ فاحٍ في هذا الفضاءِ فشمنا آثار ذلك العطر، كلُّ ما نستطيع أن نصل إليه من معرفةِ إمامِ زماننا هو بهذا القدر، وقد يكون حتى هذا المثال مبالغته فيه، فالأمثلة الحسيّة إذا ما سيقّت لتوضيح الحقائق الكبيرة تكون نافعةً من وجهٍ ومُضرةً من وجهٍ آخر، فلربّما تُقربُ المعنى من حيثيةٍ مُعيّنة ولكنها في نفسِ الوقت تُبعدهُ من حيثياتٍ كثيرةٍ وجهاتٍ عديدة، معرفةُ الإمامِ بقدرنا تقودنا إلى معرفةِ نعمةِ ولايته وإمامته، ذلك هو الذي يقودنا إلى الاعتصامِ به، وحينَ نعتصمُ به: (مَنْ إِعْتَصَمَ بِكُمْ فَقَدْ إِعْتَصَمَ بِاللّهِ)، حينَ نعتصمُ بهم اعتصامنا بهم هو اعتصامٌ باللّهِ عزَّ وجلَّ، هذا الاعتصامُ هو الذي يمنحنا الحصانة، يمنحنا التحصين: (وَلَايَةٌ أَوْ وَايَةٌ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حِصْنِي فَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي) والذي يأمنُ من عذابه فيه إشارةٌ واضحةٌ إلى الأمانِ من كيدِ الشيطان، تلك هي المنطقةُ العقائدية، العصمةُ والاعتصامُ بإمامِ زماننا المساحةُ العقائديةُ التي لا تخضعُ للاختراقِ الإبيسي.

ذكرتُ روايةً قرأتها على مسامعكم من كتابِ (تحف العقول) عن إمامنا الصادق، بشكلٍ سريعٍ أعيدُ قراءتها كي يتواصل البحث: (وَقَالَ لَهُ يُونُسُ - وهو يونسُ بنُ يعقوبٍ يقول لإمامنا الصادق - وَقَالَ لَهُ

يُونُسُ لَوْلَايَ لَكُمْ - الحديث هنا عن الولاء، عن نعمة الولاية - لَوْلَايَ لَكُمْ وَمَا عَرَّفَنِي اللَّهُ مِنْ حَقِّكُمْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا بِحَدَافِيرِهَا، قَالَ يُونُسُ: فَتَبَيَّنْتُ الغَضَبَ فِيهِ - في الإمام الصادق - ثُمَّ قَالَ: يَا يُونُسُ قِسْتَنَا بِغَيْرِ قِيَاسٍ - أي قياس هذا يا يونس؟! ما أنصفتنا - قِسْتَنَا بِغَيْرِ قِيَاسٍ، مَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا هَلْ هِيَ إِلَّا سَدُّ فَوْرَةٍ - فورة جوع، فورة عطش، فورة جنس، فورات الحياة - يَا يُونُسُ قِسْتَنَا بِغَيْرِ قِيَاسٍ، مَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا هَلْ هِيَ إِلَّا سَدُّ فَوْرَةٍ أَوْ سِتْرُ عَوْرَةٍ - ستر عورة إما بثوب أو ستر عورة بمال أو ستر عروة بيت أو ستر عورة بسائر الأمور التي يستتر فيها الإنسان عوراته، والمراد من ستر العورة ليس فقط المعنى اللغوي الخاص بكلمة العورة، العورة النقص - مَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا هَلْ هِيَ إِلَّا سَدُّ فَوْرَةٍ أَوْ سِتْرُ عَوْرَةٍ وَأَنْتَ لَكَ بِمَحَبَّتِنَا الحَيَاةَ الدَّائِمَةَ) - الحياة الدائمة هي في فناء إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه.

في تفسير إمامنا العسكري صلوات الله وسلامه عليه رواية جميلة جداً عن إمامنا زين العباد صلوات الله وسلامه عليه، إمامنا العسكري في تفسيره الشريف يُحَدِّثُنَا فيقول: (وَلَقَدْ جَاءَ رَجُلٌ يَوْمًا إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِرَجُلٍ يَزْعُمُ أَنَّهُ قَاتِلُ أَبِيهِ فَأَعْتَرَفَ - اعترف هذا الرجل بين يدي الإمام السجاد بأنه قد قتل والد ذلك الرجل - فَأَوْجَبَ عَلَيْهِ الْقِصَاصَ - الإمام هنا حكّم عليه بالقصاص - وَسَأَلَهُ - وسأل صاحب الدم، الإمام طلب من صاحب الدم - وَسَأَلَهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُ لِيُعْظَمَ اللَّهُ ثَوَابَهُ فَكَأَنَّ نَفْسَهُ لَمْ تَطُبْ بِذَلِكَ - لم يرغب، يريد أن يُقْتَلَ من قتل أباه - فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ لِلْمُدَّعِي وَلِي الدَّمِ الْمُسْتَحِقُّ لِلْقِصَاصِ - المُسْتَحِقُّ للقصاص يعني الذي له الحق في أن يأخذ القصاص - إِنْ كُنْتَ تَذْكُرُ لِهَذَا الرَّجُلِ عَلَيْكَ حَقًّا فَهَبْ لَهُ هَذِهِ الْجِنَايَةَ وَاعْفِرْ لَهُ هَذَا الذَّنْبَ، قَالَ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ لَهُ عَلَيَّ حَقٌّ وَلَكِنْ لَمْ يَبْلُغْ بِهِ أَنْ أَعْفُوَ لَهُ عَنْ قَتْلِ وَالِدِي - له عليّ حق لكن لا يصل إلى هذا الحد بحيث أنه قتل والدي فأعفو عن هذا الرجل لأن له حق في عنقي - قَالَ: فَتَرِيدُ مَاذَا؟ قَالَ: أُرِيدُ الْقَوْدَ - القود القصاص، نفس الكلمة - قَالَ: أُرِيدُ الْقَوْدَ فَإِنْ أَرَادَ لِحَقِّهِ عَلَيَّ أَنْ أُصَالِحَهُ عَلَى الدِّيَةِ صَالِحُهُ وَعَفْوُ عَنْهُ - لأجل حقه أعفو عن القود، عن القصاص، أصلحه على الدية - قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ فَمَاذَا حَقُّهُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ لَقَنِي - يعني علمني - لَقَنِي تَوْحِيدَ اللَّهِ وَنُبُوءَةَ رَسُولِ اللَّهِ وَإِمَامَةَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَالْأئِمَّةَ - يعني كان سبباً في هدايته، في معرفته - فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: فَهَذَا لَا يَفِي بِدَمِ

أَبِيكَ بَلَى وَاللَّهِ، هَذَا يَفِي بِدِمَائِهِ أَهْلُ الْأَرْضِ كُلِّهِمْ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ سِوَى الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَنْبِيَاءِ إِنَّ فُتُلُوا فَإِنَّهُ لَا يَفِي بِدِمَائِهِمْ شَيْءٌ أَوْ تَقْنَعُ مِنْهُ بِالِدِيَّةِ، قَالَ: بَلَى، قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ لِلْقَاتِلِ: أَفَتَجْعَلُ لِي ثَوَابَ تَلْقِينِكَ لَهُ حَتَّى أَبْذَلَ لَكَ الدِّيَّةَ فَتَنْجُو بِهَا مِنَ الْقَتْلِ - أنا أدفع عنك المال ولكن إجعل ثواب تلقينك، ثواب تعليمك لهذا الرجل إجعله لي وأنا أدفع الدية - قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ لِلْقَاتِلِ: أَفَتَجْعَلُ لِي ثَوَابَ تَلْقِينِكَ لَهُ حَتَّى أَبْذَلَ لَكَ الدِّيَّةَ فَتَنْجُو بِهَا مِنَ الْقَتْلِ، قَالَ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ أَنَا مُحْتَاجٌ إِلَيْهَا - مُحتاج إلى هذا الأجر - وَأَنْتَ مُسْتَعْنٍ عَنْهَا فَإِنَّ ذُنُوبِي عَظِيمَةٌ وَذَنْبِي إِلَى هَذَا الْمَقْتُولِ - يعني والد هذا الرجل - أَيْضاً بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَا بَيْنِي وَبَيْنَ وَلِيِّهِ هَذَا، قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: فَتَسْتَسَلِمُ لِلْقَاتِلِ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ نَزْوَلِكَ عَنْ ثَوَابِ هَذَا التَّلْقِينِ؟ قَالَ: بَلَى يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ لَوْلِي الْمَقْتُولِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ قَابِلٌ بَيْنَ ذَنْبِهِ هَذَا إِلَيْكَ وَبَيْنَ تَطَوُّلِهِ عَلَيْكَ - بين تطوله يعني بين فضله في إرشادك وتعليمك وهدايتك - قَتَلَ أَبَاكَ فَحَرَمَهُ لَذَّةَ الدُّنْيَا وَحَرَمَكَ التَّمَتُّعَ بِهَا فِيهَا - التمتع بأبيك فيها في الدنيا - عَلِيٌّ أَنْتَ إِنْ صَبَرْتَ وَسَلَّمْتَ فَرَفِيقُ أَبِيكَ فِي الْجَنَانِ - ستكون رفيقاً لأبيك في الجنان - وَلَقَنَّكَ الْإِيمَانَ فَأَوْجَبَ لَكَ بِهِ جَنَّةَ اللَّهِ الدَّائِمَةَ وَأَنْقَذَكَ مِنْ عَذَابِهِ الدَّائِمِ فَإِحْسَانُهُ إِلَيْكَ أَضْعَافٌ أَضْعَافٌ جَنَائِتِهِ عَلَيْكَ فَإِمَّا أَنْ تَعْفُو عَنْهُ جَزَاءً عَلَى إِحْسَانِهِ إِلَيْكَ لِأُحَدِّثْكُمْ بِحَدِيثٍ مِنْ فَضْلِ رَسُولِ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا وَإِمَّا أَنْ تَأْتِيَ أَنْ تَعْفُو عَنْهُ حَتَّى أَبْذَلَ لَكَ الدِّيَّةَ لِتُصَالِحَهُ عَلَيْهَا ثُمَّ أَحَدَّثَهُ بِالْحَدِيثِ دُونَكَ وَلَمَّا يُفَوِّتْكَ مِنْ ذَلِكَ الْحَدِيثِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا لَوْ إِعْتَبَرْتَ بِهِ، فَقَالَ الْفَتَى: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ قَدْ عَفَوْتُ عَنْهُ بِلا دِيَّةٍ وَلَا شَيْءٍ إِلَّا إِبْتِغَاءً وَجْهِ اللَّهِ وَلِمَسْأَلَتِكَ فِي أَمْرِهِ فَحَدَّثْنَا يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ بِالْحَدِيثِ)، فَحَدَّثَهُمْ سَيِّدُ السَّاجِدِينَ وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ.

الرواية في غاية الأهمية حين يقول إمامنا السجادة صلوات الله وسلامه عليه - فَهَذَا لَا يَفِي بِدَمِ أَبِيكَ وَاللَّهِ هَذَا يَفِي بِدِمَائِهِ أَهْلُ الْأَرْضِ كُلِّهِمْ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ سِوَى الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَنْبِيَاءِ - أي شيء؟ تلقينه لهذا الرجل وتعليمه لهذا الرجل، أي شيء علمه؟ علمه ولاية علي وآل علي صلوات الله وسلامه عليه، والشيء الذي هو في غاية الأهمية أن الإمام هنا يتحدث عن حديث واحد - خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا - هذا حديث واحد، فما بالك بكل أحاديث أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هل

نعرف قيمتها؟ هل نعرف فضلها؟ حديث واحد الإمام يقول خيرٌ لكما من الدنيا بما فيها، هل فعلاً نحن نعرف فضل حديث أهل البيت؟ ومرر علينا في الحلقات السابقة أيضاً عن إمامنا السجاد الرواية في كامل الزيارات والإمام يقول لزائدة حين حدّثه بحديثٍ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال له: لو ضربت إبط الإبل حولاً كاملاً في طلب هذا الحديث لكان قليلاً، هل تتصوّرون القضية؟ حول كامل، سنة كاملة ضربت إبط الإبل، يعني كنت مُسرعاً في حركتك وفي سفرك حولاً كاملاً لأجل هذا الحديث الذي حدّث به الإمام السجاد زائدة، الإمام يقول لكان قليلاً، وهناك يقول، حديث واحد أيضاً من أحاديثهم صلوات الله عليهم خيرٌ لكما من الدنيا بما فيها، أي نعيم هذا؟ ولكنّه مجهول، وأي معرفة هذه؟ ولكنّها متروكة، وأي ثقافة هذه؟ ولكنّها منسية، هذا هو حديث أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

حين نذهب إلى الكتاب الكريم إلى سورة المائدة وإلى الآية الثانية والثلاثين: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ مرّت علينا الرواية بأنّ هذا الأمر هداية هذا الرجل، تعليم هذا الرجل ولاية أهل البيت لا يفي بها أي شيء؟ دماء كل أهل الأرض لا تفي بها، باستثناء دماء الأنبياء والأئمّة، فإنّ دمائهم لا يمكن أن توزن، لا يمكن أن يفي بها شيء ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ تعاضد واضح بين ما جاء في تفسير الإمام العسكري، وما جاء في هذه الآية، وما سيأتينا في كلماتهم التي سأتلوها على مسامعكم بعد الفاصل، نذهب إلى عمّار الكناي، السيّد رقية بنت الحسين صلوات الله عليه وعليها..

في الكافي الشريف: (عَنْ سَمَاعَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قُلْتُ لَهُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ فَمَاذَا قَالَ إِمَامُنَا؟ - قَالَ: مَنْ أَخْرَجَهَا مِنْ ضَلَالٍ إِلَى هُدًى فَكَأَنَّمَا أَحْيَاهَا وَمَنْ أَخْرَجَهَا مِنْ هُدًى إِلَى ضَلَالٍ فَقَدْ قَتَلَهَا).

أيضاً في الكافي الشريف: (عَنْ أَبِي خَالِدِ الْقَمَّاطِ عَنْ حَمْرَانَ قَالَ، قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِلَى أَنْ تَقُولَ الرَّوَايَةَ - قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ

جَمِيعاً ﴿ - فماذا قال إمامنا الصادق؟ - قَالَ: مِنْ حَرَقٍ أَوْ غَرَقٍ - أَنْقَذَهَا مِنْ حَرَقٍ أَوْ غَرَقٍ - ثُمَّ سَكَتَ، ثُمَّ قَالَ: تَأْوِيلُهَا الْأَعْظَمُ - تَأْوِيلُ الْآيَةِ هَذِهِ الْأَعْظَمُ - أَنْ دَعَاَهَا فَاسْتَجَابَتْ لَهُ - أَنْ دَعَاَهَا إِلَيْنَا، أَنْ دَعَاَهَا إِلَى الْحَقِّ، التَّأْوِيلُ الْأَعْظَمُ لِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ أَنْ دَعَاَهَا فَاسْتَجَابَتْ لَهُ).

في الكافي الشريف أيضاً والرواية تشير إلى نكتة في غاية الأهمية: (عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ - إمامنا الباقر صلوات الله عليه - عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ - لاحظوا الأئمة كيف يُفسِّرون الآيات! - قَالَ: لَهُ فِي النَّارِ مَقْعَدٌ لَوْ قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا لَمْ يَرِدْ إِلَّا إِلَى ذَلِكَ الْمَقْعَدِ - لو بقي المُفسِّرون كُلُّ أعمارهم لن يصلوا إلى هذه النتيجة، اذهبوا إلى كتب التفسير عند السُّنَّةِ وعند علماء الشيعة، إذا رجعوا إلى هذه الرواية نعم يصلون إلى هذا المعنى لكن إذا لم يرجعوا إلى هذه الرواية لن يصلوا إلى هذا المعنى - لَهُ فِي النَّارِ مَقْعَدٌ لَوْ قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا لَمْ يَرِدْ إِلَّا إِلَى ذَلِكَ الْمَقْعَدِ).

رواية في تفسير إمامنا العسكري صلوات الله وسلامه عليه: (وَسُئِلَ الْبَاقِرُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - إمامنا العسكري يُحدِّثنا عن باقر العلوم - سُئِلَ - ما هو السؤال الذي وُجِّهَ إلى إمامنا الباقر؟ - إِنْقَاذُ الْأَسِيرِ الْمُؤْمِنِ مِنْ مُحِبِّينَا مِنْ يَدِ النَّاصِبِ يُرِيدُ أَنْ يُضِلَّهُ بِفَضْلِ لِسَانِهِ وَبَيَانِهِ - ليس أسير حرب وإنما هو أسير لتأثره بهذا الناصب، لتأثره بفكره، شيعي وتأثر بناصبي، بناصبي في الواقع الشيعي، الأئمة يصفون كثيراً من فقهاء الشيعة بأنهم قومٌ نُصَّابٌ في نفس تفسير الإمام العسكري صلوات الله وسلامه عليه عن إمامنا الصادق والإمام يتحدث عن مجموعة كبيرة من فقهاء ومراجع الشيعة فيقول: (وَمِنْهُمْ قَوْمٌ نُصَّابٌ يَتَعَلَّمُونَ بَعْضَ عُلُومِنَا الصَّحِيحَةَ ثُمَّ يُضَيِّفُونَ إِلَيْهَا أَضْعَافَهُ وَأَضْعَافَ أَضْعَافِ ذَلِكَ مِنْ الْأَكَاذِيبِ الَّتِي نَحْنُ بُرَاءٌ مِنْهَا فَيَقْبَلُهُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ شِيعَتِنَا عَلَى أَنَّهُ مِنْ عُلُومِنَا) - السؤال للإمام الباقر - إِنْقَاذُ الْأَسِيرِ الْمُؤْمِنِ مِنْ مُحِبِّينَا مِنْ يَدِ النَّاصِبِ يُرِيدُ أَنْ يُضِلَّهُ بِفَضْلِ لِسَانِهِ وَبَيَانِهِ أَفْضَلُ أَمْ إِنْقَاذُ الْأَسِيرِ - أسيرٌ حربي - أَمْ إِنْقَاذُ الْأَسِيرِ مِنْ أَيْدِي الرُّومِ - هناك أسير حربي في الحرب مع الروم

أسروه الروم ولا يُعلم كيف سيكون مصيره، يُقتل يُعذب، يُسجن، أيُّهما أفضل أن تُنقذ مؤمناً من تأثير ناصبٍ وقطعاً الناصب الشيعي أخطر من الناصب الناصبي - إنقاذُ الأسيرِ المؤمنِ من مُحبيِّنا من يدِ النَّاصبِ يُريدُ أن يُضلَّهُ بِفَضْلِ لِسَانِهِ وَبَيَانِهِ أَفْضَلُ أَمْ إنقاذُ الأسيرِ من أيدي الروم؟ - أيُّهما أفضل؟ -

قَالَ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلرَّجُلِ: أَخْبِرْنِي أَنْتَ عَمَّنْ رَأَى رَجُلًا مِنْ خِيَارِ الْمُؤْمِنِينَ يَغْرَقُ وَعُصْفُورَةٌ تَغْرَقُ - سؤال الإمام الباقر لهذا الرجل ماذا قال له؟ - قَالَ أَخْبِرْنِي أَنْتَ عَمَّنْ رَأَى رَجُلًا مِنْ خِيَارِ الْمُؤْمِنِينَ يَغْرَقُ وَعُصْفُورَةٌ تَغْرَقُ لَا يَقْدِرُ عَلَى تَخْلِيصِهِمَا بَأَيِّهِمَا اشْتَغَلَ فَاتَهُ الْآخِرُ - لا يستطيع أن يُنقذَ الإثنين معاً، رجل من خيار المؤمنين وعصفورة لا بُدَّ أن يترك أحدهما - أيُّهما أفضل أن يُخلِّصَهُ؟ قَالَ الرَّجُلُ مِنْ خِيَارِ الْمُؤْمِنِينَ - القضيَّة لا تحتاج إلى كثيرٍ من التفكير - قَالَ الرَّجُلُ مِنْ خِيَارِ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَبَعْدُ مَا سَأَلْتَ فِي الْفَضْلِ أَكْثَرَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ - إنقاذُ الأسيرِ من يدِ النَّاصبِ أفضل بكثيرٍ من إنقاذِ الأسيرِ الحربي من يد الروم، بل البُعد بين هذين الأمرين أبعد ممَّا جاء في المثال الذي ضربهُ الإمام ما بين رجلٍ من خيارِ المؤمنين وبين عصفورة - قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَبَعْدُ مَا سَأَلْتَ فِي الْفَضْلِ أَكْثَرَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ إِنَّ ذَاكَ يُوقَرُ عَلَيْهِ دِينُهُ وَجَنَانُ رَبِّهِ وَيُنْقَذُ مِنَ النَّيْرَانِ وَهَذَا الْمَظْلُومُ - يعني الأسير عند الروم - إِلَى الْجِنَانِ يَصِيرُ).

مثلُ هذه الأحاديث وكثيرٌ كثيرٌ من مثل هذه المضامين وردَ عن أهل بيت العصمة، كلُّ ذلك يدفعنا للتدبُّر وللتفكُّر.

- أولاً: في عَظْمَةِ أَحَادِيثِ أَهْلِ الْبَيْتِ.
- وثانياً: في عَظْمَةِ مَعْرِفَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ.
- وثالثاً: في عَظْمَةِ خِدْمَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ وَالسَّعْيِ فِي نَشْرِ مَعَارِفِهِمْ وَفِي نَشْرِ حَدِيثِهِمْ، قِطْعاً بَعْدَ تَعَلُّمِهَا، بَعْدَ تَعَلُّمِ أَحَادِيثِهِمْ وَمَعَارِفِهِمْ وَعَقَائِدِهِمْ، كُلُّ ذَلِكَ يَشِيرُ بِكُلِّ تَفَاصِيلِهِ إِلَى عَظْمَةِ نِعْمَةِ وَلايَةِ وَإِمَامَةِ إِمَامِ زَمَانِنَا صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ فِي أَعْنَاقِنَا.

إذا استشعنا هذه المضامين نكون في دائرة قريبة من تحصيل الحصانة، إذا لم نستشعر هذه المعاني كيف نستطيع أن نعتصم بهم اعتصاماً صادقاً؟! الإنسان حين يكون في مشكلة كبيرة وهذه المشكلة يمكن أن تقضي على حياته أو أن تقضي على أهم الأشياء في حياته ولا يجد خلاصاً إلا من طريق سين من الناس، فإنه سيتوجه بكله إلى سين من الناس لكي يُخلّصه من هذه الطامة، هو يعرف بأن سين من الناس سيُخلّصه من هذه المشكلة، سيتوجه إليه بكل مشاعره وبكل أحاسيسه، القضية هي هي، وإن كانت الأمثال تُقرب من وجهه وتُبعد من وجه آخر ولكن القضية هي هي.

إذا لم نستشعر أن نجاتنا عند إمام زماننا، إذا لم نستشعر عظمة نعمة ولاية وإمامة إمام زماننا لن نستطيع أن نعتصم به وأن نتوجه إليه بشكل صادق حقيقي قطعي، قد تقول كيف يكون ذلك؟ يمكن أن أُقرب المعنى بصورة تقريبية: إذا كان الإنسان في وسط البحر، إنسان في وسط البحر في الماء، ماذا يرى؟ خصوصاً إذا ذهب إلى أماكن بعيدة عن السواحل، قلت في وسط البحر، إذا التفت يميناً يرى البحر، إذا التفت شمالاً يرى البحر، أمامه، خلفه، إذا نظر إلى الأسفل، إلى قدميه وهي غاطسة في الماء يرى البحر، من كل مكان من جميع الاتجاهات فلا يرى غير البحر، الاعتصام هو هذا، أن لا ترى غير الإمام صلوات الله وسلامه عليه، هذا هو الاعتصام.

القرآن يُبين المعنى بشكل أوضح وأدق من كل هذه البيانات، إذا ذهبنا إلى سورة البقرة وإلى الآية الخامسة بعد العاشرة بعد المئة: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ - فَتَمَّ يَعْنِي فَهَنَّاكَ - وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ في كل الاتجاهات، فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ، وهم وجهه الله الباقي، هذه الآية بحاجة إلى تدبرٍ طويل، إلى تفكير عميق، هم وجهه الله الباقي، وفي رواياتهم وأحاديثهم عن سيّد الأوصياء عن باقرهم عن صادقهم الآية مفسرة فيهم بحسب أحاديثهم وكلماتهم الشريفة: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾.

إذا ذهبنا إلى سورة الرحمن، ماذا نقرأ في سورة الرحمن؟ في الآية السادسة والعشرين والسابعة والعشرين:

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ - كُلُّ مَنْ عَلَى صَفْحَةِ الْوُجُودِ، لَيْسَ عَلَى الْأَرْضِ، كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، كُلُّ مَنْ عَلَى صَفْحَةِ الْوُجُودِ، مَا الْأَرْضُ إِلَّا شَيْءٌ صَغِيرٌ فِي هَذَا الْوُجُودِ - ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ - نكتة في غاية الأهمية هنا! يا مَنْ تَعْرِفُونَ الْعَرَبِيَّةَ كَيْفَ تُعْرَبُونَ الْآيَةَ؟

﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ - وَجْهُ هُنَا فَاعِلٌ، مُضَافٌ وَرَبُّكَ مُضَافٌ إِلَيْهِ، ذُو الْجَلَالِ، ذُو مِنَ الْأَسْمَاءِ الْخَمْسَةِ أَوْ السِّتَةِ عَلَى اخْتِلَافِ الْأَرَاءِ النَّحْوِيَّةِ، الْأَسْمَاءُ الْخَمْسَةُ أَوْ السِّتَةُ تُرْفَعُ بِالْوَاوِ - ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ - رَبُّكَ هُنَا مَجْرُورَةٌ بِحُكْمِ الْإِضَافَةِ، مُضَافٌ وَمُضَافٌ إِلَيْهِ - ﴿ ذُو الْجَلَالِ ﴾ - ذُو مَرْفُوعَةٌ، ذُو هُنَا صِفَةٌ لِلْوَجْهِ، اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُنَا، يُجَلَّلُ الْوَجْهُ وَلَمْ يُجَلَّلْ نَفْسُهُ، أَيُّ مَنْزِلَةٍ لِهَذَا الْوَجْهِ عِنْدَهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟ الْإِجْلَالُ وَالْإِكْرَامُ هُنَا لِلْوَجْهِ - (أَيْنَ وَجْهُ اللَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ يَتَوَجَّهُ الْأَوْلِيَاءُ) - اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْآيَةِ هُنَا مَا جَلَّلَ نَفْسَهُ، هَذَا الْإِجْلَالُ وَالْإِكْرَامُ لَيْسَ لِكَلِمَةِ رَبِّ وَإِنَّمَا لِكَلِمَةِ وَجْهِ، وَجْهُ فَاعِلٌ مَرْفُوعٌ، ذُو مِنَ الْأَسْمَاءِ الْخَمْسَةِ أَوْ السِّتَةِ مَرْفُوعٌ بِالْوَاوِ وَهُوَ صِفَةٌ هُنَا، إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَعْرِبَهَا صِفَةً لِلْفَاعِلِ، يَعْنِي وَيَبْقَى الْوَجْهُ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ وَلَيْسَ الرَّبِّ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَتْ صِفَةٌ لِلرَّبِّ كَيْفَ يَكُونُ التَّعْبِيرُ؟ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، حَيْثُ تَكُونُ صِفَةٌ لِلرَّبِّ، وَلَكِنْ هُنَا ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، صِفَةٌ لِلْوَجْهِ، اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُنَا يُجَلَّلُ وَيُكْرَمُ وَجْهُهُ، هَمَّ وَجْهُهُ، هَمَّ وَجْهُ اللَّهِ الْبَاقِي، هَمَّ وَجْهُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَهْلِكُ، هَمَّ وَجْهُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَفْنَى - ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ - الْفَنَاءُ لَيْسَ حُكْمًا يُحْكَمُ بِهِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ، هَذَا الْوَجْهُ مَا هُوَ بِفَانٍ - ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ - هَذَا الْوَجْهُ الَّذِي هُوَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ اللَّهُ هُنَا يُكْرَمُهُ، أَكْرَمَهُ وَمَا أَكْرَمَ نَفْسَهُ، لِمَاذَا؟ لِأَنَّ إِكْرَامَ الْوَجْهِ وَلِأَنَّ إِجْلَالَ الْوَجْهِ هُوَ إِجْلَالٌ وَإِكْرَامٌ لِلَّهِ - (مَنْ إِعْتَصَمَ بِكُمْ فَقَدْ إِعْتَصَمَ بِاللَّهِ، مَنْ أَحَبَّكُمْ أَحَبَّ اللَّهُ، مَنْ أَبْغَضَكُمْ أَبْغَضَ اللَّهُ، مَنْ أَطَاعَكُمْ أَطَاعَ اللَّهُ، مَنْ عَصَاكُمْ عَصَا اللَّهُ) - الْكَلَامُ هُنَا هَذَا الْأَمْرُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِنَفْسِهِ فِي قِرْآنِهِ يَقُومُ بِهِ، فَهُوَ يُجَلَّلُ وَيُكْرَمُ الْوَجْهُ وَمَا جَلَّلَ وَمَا كَرَّمَ نَفْسَهُ، قَدَّمَ

التجليل والتكريم لوجهه وما وجهه إلا مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّدٍ صلواتُ الله وسلامه عليهم أجمعين، هو هذا الوجه
فَمَّ وجهُ الله، أينما تولّوا وجوهكم في كلِّ الاتجاهات - ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ - في جميع
الاتجاهات، وحينَ يكونُ الحديثُ عن الاتجاهات المراد من الاتجاهات ليس الاتجاهات الجغرافية فقط،
الاتجاهات الجغرافية نوعٌ من الاتجاهات.

- هناك اتجاهات جغرافية مكانية.

- هناك اتجاهات زمانية.

- وهناك اتجاهات ما وراء المكان، ما وراء الزمان.

- هناك اتجاهات ظاهرة في حياتنا واتجاهات باطنة.

- هناك اتجاهات عقلية، اتجاهات قلبية.

- هناك اتجاهات ألوانها وأشكالها تتعدّد وتباين إلى المالا نهايات.

ومع كلِّ هذه الاتجاهات التي تباينُ وتتلوّنُ إلى المالا نهايات فَمَّ وجهُ الله، هناك هذا الوجهُ المحيط، تلك
الحقيقة الساطعة: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ قد تُعطي الآية معنى الفناء هنا في ما بعد الساعة، في إرهاصات
الساعة وما بعد الساعة، عالمُ القيامة وما تجرّي فيه من المُجريات، فهناك مرحلةُ الفناء والإفناء، قد تعطي
الآية هذا المعنى، ولكنّها تعطي معنى أعمق، الوجودُ كُلُّه في هذا الآن وفي كلِّ آنٍ محكومٌ بالفناء، صحيحٌ هو
ظاهرٌ ولكن في عينِ ظهوره محكومٌ بالفناء، إذ الوجود لا يمتلك قدرةً على بقاءه، فبقاؤنا بقاءِ الوجه، بقاءنا
ببقاءِ الله، وهذا البقاء يتجلّى من الوجه، بقاءنا ببقاءِ الوجه، فالباقي حقيقةً هو الوجه وأما الأشياءُ ففانيةٌ
لكنّ بقاءها متحقّقٌ ببقاءِ الوجه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ هو
هذا الوجه الذي نعتصمُ به، حينَ نعتصمُ بهذا الوجه ونعتصمُ بهذا المعنى، نستطيع أن نواجه تلك النشاطات
الإبليسية، أن نواجه المكرَ الإبليسي، وأن نواجه المكرَ الشيطاني.

أعتقد من خلال البيانات المتقدّمة في الحلقات السابقة ومن خلال هذه التوضيحات أنّ مرادي ومقصدي من قانون المكر ومن معنى المكر والكيد صار واضحاً إلى حدّ بعيد، وللحديث صلة وللحديث بقيّة، لكن نذهب إلى فاصل مع الملا باسم وفاطمة بنت الحسين صلوات الله عليه وعليها..

في الجزء الثاني من كتاب الكافي الشريف رواية جميلة عن الإمام السجاد صلوات الله وسلامه عليه يقول فيها: (آياتُ القرآنِ خزائنٌ - يعني أنّ المعاني والمضامين القرآنية ليست ظاهرة، فالآيات خزائن - فكلّما فُتِحَتْ خِزَانَةٌ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَنْظُرَ مَا فِيهَا - كيف تُفْتَحُ هذه الخزانة؟ من الذي يفتّحها؟ خزانُ العلم هم الذين يفتحون هذه الخزائن، من هم خزانُ العلم؟ في زيارتنا الشريفة، في أحاديثنا الشريفة من هم خزانُ العلم؟ هم وحدهم مُحَمَّدٌ وَأَبُو مُحَمَّدٍ، هؤلاء هم خزانُ العلم، هم خزائنُ العلم، وهم خزانُ العلم وهم وهم... سَجَّادُ العترة يقول: آياتُ القرآنِ خزائنٌ فكلّما فُتِحَتْ خِزَانَةٌ - فُتِحَتْ، هناك من يفتّحها، من الذي يفتّحها؟ فُتِحَتْ هذا الفعل مبني للمجهول، ليس كلّما فتحت أنت الخزانة، فُتِحَتْ، هناك من يفتح لك هذه الخزانة، من الذي يفتّحها؟ حديثهم، تفسير الإمام العسكري، تفسير القمي، رواياتهم التي يُضَعِّفُهَا علماءنا ومراجعنا ومفسّروننا - آياتُ القرآنِ خزائنٌ فكلّما فُتِحَتْ خِزَانَةٌ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَنْظُرَ مَا فِيهَا - يعني أنّ التدبّر في القرآن لا بُدَّ أَنْ يكون مبنياً على أساس حديث أهل البيت، لا كما يكتب بعض العلماء تفاسيرهم، من علمائنا ومن مراجعنا يكتبون تفاسيرهم على أساس ما يتدبّرون به وفقاً للمعاني اللغوية أو لما ينقدح في أذهانهم، هذا التدبّر ما هو بتدبّر أهل البيت، هذا التدبّر هو تدبّر وفقاً لذوق المخالفين لأهل البيت، التدبّر وفقاً لذوق أهل البيت لا بُدَّ أَنْ يكون مبنياً على حديثهم، فكما يقول سجّادهم: آياتُ القرآنِ خزائنٌ - ونحن لا نملك مفاتيح تلك الخزائن، الذي يملك المفاتيح هو صاحبُ الخزائن، هو سيّد الخزائن، هو مالكُ الخزائن، هو صانعُ الخزائن، هم صلوات الله عليهم - آياتُ القرآنِ خزائنٌ فكلّما فُتِحَتْ خِزَانَةٌ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَنْظُرَ مَا فِيهَا).

في الكتاب الكريم إذا نذهب إلى سورة مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، الآيات الثانية والعشرون وما بعدها -

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ - تَوَلَّيْتُمْ عن الحقّ، ابتعدتم، أعرضتم - فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي

الأَرْضِ وَتُقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ - الأرحامُ في الكتابِ الكريمِ أرحامُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَالرَّحِمُ المعلقةُ في العرشِ هي رَحِمُ مُحَمَّدٍ، لا الرَّحِمُ الذي أربطُ به بأبي وأمي، صَلَةُ الرَّحِمِ في الكتابِ الكريمِ في جوهرها في أصلها هي رَحِمُ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، الرَّحِمُ المعلقةُ في العرشِ ما هي بِرَحِمِ آبائنا وَأُمَّهاتنا، هي رَحِمُ آبائنا الحقيقيين مُحَمَّدٌ وَآلِ مُحَمَّدٍ، هكذا تقول كلماتهم، هكذا تقول ثقافتهم - فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ * أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ القُرْآنَ - كيف يتدبرون القرآن؟ أَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ، أَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ليس حسياً وإنما عن الحقيقة، هؤلاء الذين أفسدوا وقطعوا أرحام مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ - فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ * أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ القُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿﴾ هؤلاء لا يستطيعون أن يتدبروا القرآن، لماذا؟ لأنَّ القلوب مقلقة والمفاتيح لهذه القلوب ليس بأيديهم، مفاتيح القلوب ومفاتيح القرآن عند إمام زماننا، قلوب مقلقة والقرآن مقلل بوجوههم، فكيف يتدبرون؟ فيذهبون إلى اللغة والبلاغة وإلى الوسائل التي يستعملها المخالفون والتي ركض علماءنا ومراجعنا ومفسروننا وراءها أيضاً وتركوا حديث أهل البيت، ليس فقط تركوا حديث أهل البيت بل نفوا أن يكون هذا الحديث في تفسير الإمام العسكري، في تفسير القمي، في تفسير فُرات، في تفسير العياشي، بل نفوا أن يكون تفسير أهل البيت هو هذا وذهبوا يركضون يميناً وشمالاً، هكذا هي منايرنا، كبار خطبائنا هكذا يصنعون، فضائياتنا الشيعية هكذا تُصنع، دروسنا في الحوزات العلمية هكذا تُصنع، كتب التفسير الشيعية الموجودة في المكتبات التي تُباع الآن هكذا تُصنع، تركض وتلهث وراء المناهج المخالفة لأهل البيت وحديث أهل البيت حديث ضعيف! - فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ * أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ القُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا - قلوب مقلقة والآيات مقلقة - إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ - هؤلاء هم أنفسهم - إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴿﴾ - فخرائن القرآن تحتاج إلى مَنْ يفتحها، من الذي يفتحها؟ أئمتنا يفتحون هذه الخرائن، وحين نتعلق بأئمتنا نتعلق بحديثهم

وفي حديثهم المفاتيح، باقر العترة يقول لزرارة في الكافي الشريف - (ذِرْوَةٌ الْأَمْرِ وَسِنَامُهُ وَمِفْتَاحُهُ - المفاتيح هُنَا - ذِرْوَةٌ الْأَمْرِ وَسِنَامُهُ وَمِفْتَاحُهُ وَبَابُ الْأَشْيَاءِ وَرِضَا الرَّحْمَنِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الطَّاعَةُ لِلْإِمَامِ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ) - الحقيقة هُنَا، من يبحث عن المفاتيح المفاتيح هُنَا، من يبحث عن الخزائن الخزائن هُنَا، الخزائن هُنَا، ومالك الخزائن هُنَا ومفاتيح الخزائن هُنَا والذي يفتح الخزائن هُنَا، أين؟ عند مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ - (فَلْيُشْرِقِ الْحَسَنُ الْبَصْرِيَّ وَلْيُغْرَبْ - كما يقول باقر العلوم - فَإِنَّ الْعِلْمَ لَا يُؤْتَى إِلَّا مِنْ هَاهُنَا - ويشير إلى صدره الشريف) - فَلْيُشْرِقِ الْحَسَنُ الْبَصْرِيَّ وَلْيُغْرَبْ، حِينَ سَأَلُوهُ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَعَنِ أَقَاوِيلِهِ وَعَنِ ادِّعَاءَاتِهِ قَالَ فَلْيُشْرِقِ هُوَ وَغَيْرُهُ، وَمَا الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ هُنَا إِلَّا مِثَالٌ - فَلْيُشْرِقِ الْحَسَنُ الْبَصْرِيَّ وَلْيُغْرَبْ فَإِنَّ الْعِلْمَ لَا يُؤْتَى إِلَّا مِنْ هَاهُنَا - ويشير إلى صدره الشريف صلوات الله وسلامه عليه).

نفتح القرآن نتصفح هذه الخزائن نذهب إلى سُورَةِ يُوسُفَ، في سورة يوسف في أوائل السورة: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ - ما المراد من أحسن القصص؟ القصص التي نتدبرها، القصص التي نعتبر منها، القصص التي تشتمل على الحقائق، على القوانين، على السنن، على الحكمة - نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ هذا في أول سورة يوسف، وفي آخر سورة يوسف، في آخر آية من سورة يوسف: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ - هذا القصص الذي هو أحسن القصص نحن ما جئنا به للتسلية، هناك عبرة لكن لمن؟ لأولي الأبواب - لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ - قَصصِهِمْ، صحيح هي قصة واحدة هكذا تُقال قصة يوسف ولكنها تشتمل على قصص كثير - لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

العنوان العام، الخط العام في سورة يوسف ما هو؟ إنه قانون المكر، قانون الكيد، قانون المكر واضح في سورة يوسف، صراع بين المكر الشيطاني وبين المكر الرحمان، واضح على طول القصة.

القضية من أين تبدأ؟ القضية تبدأ من مصر، لماذا مصر؟ مصر هذه الأرض وهذه البلاد لها خصوصية في ماضي الأيام ولها خصوصية في قادم الأيام، في ماضي الأيام كانت مصر وهي جزء من هذه المنطقة، منطقة

الظهور، كانت مصر فيها دولةً قويّةً مرهوبةً وفيها حضارةً متطوّرةً، كان لمصر في العصور القديمة سحرٌ وإلى يومك هذا بقي ذلك السحر في آثارها، في الآثار المصرية إلى يومنا هذا، الآن في زماننا هذا لو أردت أن تبحث عن أكثر المناطق الأثرية يزورها السوّاح في العالم لوجدت مصر إمّا هي الأولى أو هي في المراتب القريبة من المرتبة الأولى، حتّى الاهتمام في دراسة الآثار في الجامعات العالمية تحظى مصر بحصّة كبيرة في هذه القضية، مصر لها خصوصيّة وهنا أنا لا أريد الحديث عن مصر وعن خصائص مصر، فالبرنامج ليس متوجّهاً إلى هذه القضية لكنني أشرت إلى مصر لعلاقة قصّة يوسف بهذا الأمر، ومصر في حضارتها كانت تُعاندُ التوحيد، تعبدُ الأصنام، وإذا ما سرى التوحيد في هذه الدولة القويّة فإنّه سينتشر في هذه المنطقة بسبب التأثير الحضاري لمصر، الآن لو نظرت إلى الخارطة، إذا كان عندكم أطلس للخرائط افتحوا الأطلس وانظروا إلى خارطة العالم القديم وحتّى لو نظرتم إلى العالم القديم والجديد، لكنني أتحدّث هنا عن العالم القديم، والمراد من العالم القديم آسيا وأوروبا وأفريقيا، هو هذا الذي يُصطلحُ عليه بالعالم القديم، لو نظرتم إلى العالم القديم وحتّى لو نظرتم أخذتم بنظر الاعتبار أيضاً العالم الجديد لوجدتم منطقة الظهور تقع في قلب هذا العالم، انظروا إلى الخارطة، مُرادي من منطقة الظهور: العراق، إيران، تركيا، الجزيرة العربية بما فيها اليمن، دول الخليج، الشام الدول الأربعة، ومصر، إذا ما نظرنا إلى خارطة العالم القديم فإننا سنجد منطقة الظهور في وسط هذا العالم وهي منطقة الحضارات البشرية ومنطقة الديانات الإلهية، أهمّ الديانات الإلهية أين تحرّكت وأين تأسست وأين وُجدت وأين بُعث أنبياءها؟ في هذه المنطقة، في منطقة الظهور، أهمّ المناطق المقدّسة في العالم أين موجودة؟ الآن أنتم إبحثوا، المناطق المقدّسة في العالم، أهمّ المناطق المقدّسة في العالم موجودة في هذه المنطقة، في منطقة الظهور، عاصمة الإمام ودولة الإمام أين تنشأ؟ في منطقة الظهور، علامات الظهور والفِتْنُ والملاحم والأحداث أين تكون؟ في هذه المنطقة، إفتحوا نشرات الأخبار في كلّ القنوات أهمّ الأخبار التي تُذاع في نشرات الأخبار عن أيّ منطقة؟ هل ستسمعون في كلّ نشرة إخبارية خبراً عن سويسرا مثلاً أو عن البرازيل، عن الأرجنتين، لوكسمبورغ، عن فنلندا؟ إنكم حتّى عن الولايات المتحدة الأمريكية لن تسمعوا إلّا ما يتعلّق بهذه المنطقة، حين تأتي الأخبار عن الولايات المتحدة، الآن الصراع بين المتنافسين والمرشّحين في الولايات المتحدة الأمريكية العناوين الأولى التي يتناقشون حولها تابعوا الأخبار، تابعوا الإنترنت، أين؟ منطقة الظهور، هي هذه المنطقة، وقديماً لهذه المنطقة كان هناك جناحان: العراق ومصر، واديان وادي الرافدين

ووادي النيل، أما وادي الرافدين فقد بدأت الحركة التوحيدية فيه على يد إبراهيم، وتوقفت في بلاد الشام، وبقي أولاد إبراهيم من ابنه إسحاق هناك، فيعقوب ابن إسحاق ويوسف ابن يعقوب، فبدأ العمل والتخطيط والمكر الإلهي باتجاه مصر لإتمام المسيرة التوحيدية التي بدأت من وادي الرافدين كي تنتقل إلى وادي النيل، دولة قوية مرهوبة كدولة مصر كيف يمكن أن يخترقها الخط التوحيدي من دون المكر؟ لا يمكن، فالمكر الإبليسي قد توغل في مصر وفي حضارة مصر، والناس كانوا يعيشون برحاء في تلك الدولة وقد تعلقوا بأهتهم وأصنامهم، فكيف يُخترقون؟ السلطة الدينية كانت قوية والسلطة الدنيوية سلطة الملوك كانت قوية جداً وهي تتفاعل مع السلطة الدينية والناس بين هذين ساروا في طريقهم المرسوم لهم على ضوء خطى المكر الإبليسي، فلا بُدَّ من مكر يواجه هذا المكر، ومن هنا بدأ المكر الإلهي الخفي، وُلد يوسف وحين وُلد يوسف وُلد بجمال لا نظير له وهو جزء من المخطط أيضاً، جمال يوسف حبه لأفراد عائلته وكانوا يتسابقون فيما بينهم على ضمّه إليهم، لا أستطيع أن أسرد التفاصيل فليس الحديث عن قصة يوسف، الحديث في أجواء سورة يوسف، نتلمس من خلاله تطبيق قانون المكر، قانون الكيد، وأحبه يعقوب لا لجماله أحبه يعقوب لأن يعقوب كان يعلم بأن النبي الذي سينقل التوحيد إلى مصر هو هذا يوسف ولده، لجماله ولنباهته وذكائه ونبوغه، نبي بأوصاف النبوة لكن الناس لا يعرفون ذلك، يتلمسون النباهة والذكاء والحضور رغم صغر سنّه، هنا دخل الشيطان فأوقع فيما بينه وبين إخوته وكادوا له، أليست مكيدة؟ هم خدعوا أباهم فخدع لهم، بل هو الذي لقنهم، إذا نقرأ في الآيات في الجزء الأول من قصة يوسف: ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ -

ماذا قال لهم؟ - قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّبُّ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾ حين رجعوا إلى أبيهم أصلاً نفس هذا الكلام الذي قاله لهم يعقوب هم قالوه بأن الذب قد أكله، نفس هذا الكلام، نفس هذا العذر، فكادوا له وألقوه في البئر وحين جاءت القافلة وأخرجوه من البئر ونظروا إلى جماله الفاتن أحبه، القافلة أحبه لجماله ونباهته، وحين ذهبوا به إلى مصر وعرض في سوق النخاسة أحبه عزيز مصر فاشتراه، وحين حمله إلى بيته أحبه زليخة واعنتت به تمام العناية، دلته في تربيته، ولكن حين شب وصار شاباً عشقته أيضاً لجماله، وجمعت نساء المدينة وكان التخطيط للخلاص من هذا الكيد الشيطاني الذي كان يُحطّط له إبليس، طلب من الله أن يُودعه في السجن فأودع في السجن، وبقي سنوات طوال في

السجن يوسف، إلى أن هدأ المكر الشيطاني، الشيطان أيضاً يُخدع، يُخدع بهذا المكر، بالمكر الرحماني، ويمكرون ويمكر الله، هنا المكر الرحماني يغلب المكر الشيطاني، هو صراعٌ، حتى تأتي الرؤيا التي يراها الملك وتأتي التفاصيل ثم يأتي القحط وخطة يوسف للخلاص من القحط حتى قرب الناس إلى التوحيد وهو كيد رحماني، حتى تصل القضية إلى مجيء إخوته وحين يضع صواع الملك في رحل أخيه بنيامين ماذا يُعبر القرآن حين وضع صواع الملك في رحل أخيه بنيامين؟ ماذا تقول الآيات القرآنية؟ تقول: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ كذلك كدنا ليوسف، هذه المكيدة التي قام بها يوسف، الله هنا يقول نحن أصحاب هذه المكيدة، ما هو الكيد؟ إظهار شيء الآخرون يفهمونه والحقيقة شيء آخر، الموضوع واسع في سورة يوسف ولا أستطيع أن أتابع كل التفاصيل لكنني سأمرّ مروراً سريعاً على الآيات الكريمة.

● في الآية الخامسة: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ - لماذا؟ - فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا -

سيكيدونك إذا سمعوا بهذه الرؤيا - إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿ الشيطان هنا يشتغل بمكره، وكيدِه فيتحوّل الكيد الشيطاني إلى كيدٍ على يد إخوة يوسف.

● في الآية الثامنة والعشرين: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدًّا مِنْ دُبرٍ - عزيز مصر لَمَّا رأى قميصه قُدًّا مِنْ دُبرٍ -

قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ - يُخَاطَبُ زُلَيْخَةَ - إِنَّ كَيْدِكُنَّ عَظِيمٌ ﴿ هنا أيضاً كيد وهو كيد شيطاني، هي كادت ليوسف ما كادت وكيف غلقت الأبواب.

● وَلَمَّا تَحَدَّثتْ نِسْوَةَ الْمَدِينَةِ: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ - وأيضاً صنعت لهنّ مكيدة -

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ - والمكر كيد - فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿

- في الآيات التي بعدها: ﴿ قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ - كَيْدُ يُكَادِ يُوسُفَ - فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ﴾ وهذا كيد من يوسف أن يذهب إلى السجن للخلاص من الكيد الشيطاني، الشيطان تحرك بهذا الاتجاه، يوسف تحرك باتجاه آخر مما أفسد كيد الشيطان، تلاحظون كلمة الكيد والمكر على طول السورة.
- ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ انْتُونِي بِهِ - فِي قِصَّةِ تَفْسِيرِ الرُّوْيَا - فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ - إِلَى الْمَلِكِ - فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النَّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ - الْآنَ يُوسُفُ يَرِيدُ أَنْ يَكْشِفَ الْحَقِيقَةَ لِأَنَّهُ فِي تِلْكَ الْفِتْرَةِ كَانَ يَرِيدُ مُوَاجَهَةَ الْكَيْدِ الشَّيْطَانِيِّ - فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النَّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾ .
- زُليخا ماذا قالت حين جرى التحقيق معها؟ قالت: ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ .
- ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتْهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ * قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ * قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ - الْقِصَّةُ - كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾ الله يقول هذه المكيدة وإن كانت صغيرة لكن نحن الذين كدنا ليوسف، ﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾ إشارة إلى المكر الإلهي، إلى الكيد الإلهي، بحيث أن إخوة يوسف صدقوا ﴿ ارْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ - صَدَّقُوا بِالْقِصَّةِ - وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ * وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ يعقوب كان على علم بحياة يوسف، الروايات تقول سأل ملك الموت، يعقوب نبي على تواصل مع الملائكة، فاتصل بملك الموت فقال له هل رأيت روح يوسف مع الأرواح التي

قبضتها؟ فأخبره بأنه لم تُقبض روح يوسف، لذلك يعقوب كان على علم، بكاؤه لا على موت يوسف، بكاؤه كان على فراق يوسف وهو جزء أيضاً من الكيد ومن المكر الإلهي، فإنَّ الشيطان حين يرى يعقوب بهذا الحال هو أيضاً يُخدع بأنَّ أمر يوسف قد انتهى - قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ - إني أعلم ما لا تعلمون - يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴿التحسس هو في مقابل التحسس، التحسس هو التجسس الممدوح، التحسس مذموم، ولا تحسسوا، التحسس يكون نشاطاً باطلاً، الذي يُقابلة في نشاط الخير هو التحسس - يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ - إلى آخر الآيات.

• الآية الثانية بعد المئة: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ - قِصَّةُ يُوسُفَ - وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ

أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿ تلاحظون الكيد والمكر موجود على طول القصة إلى الآية الأخيرة

- ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لَأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿ لو كان البرنامج مُخصَّصاً للحديث عن سورة

يوسف لفصلت القول كثيراً في هذه المطالب وأوردت ما بأيدينا من أحاديث أهل بيت العصمة.

العبرة الواضحة من قصة يوسف عليه السلام هو المكر الشيطاني وأنَّ الشيطان يُوظفُ الناس، في الحلقة السابقة قلت في رواياتنا النساء مصائد الشيطان، وقلت الرجال أيضاً، فمثلما الشيطان وظف زليخا ووظف نساء المدينة وظف إخوة يوسف، واضح نفس الشيء، هذا توظيف وهذا توظيف، العبرة من قصة يوسف عليه السلام المكر الشيطاني والذي يمرُّ من خلال وسائل كثيرة، من خلال أناس قريين، من خلال الإخوة، من خلال امرأة فاتنة جميلة، من خلال زليخة، من خلال الأجواء الناعمة والهادئة، من خلال نسوة المدينة، ومن ومن... وهناك المكر الإلهي الخفي، إلى درجة يتناول حتى الجزئيات في قضية صواع الملك، كذلك كدنا ليوسف، فمكائد يوسف هي مكائدنا، وكيدُ الأنبياء هو كيدُ الله وكيدُ الله هو كيدُ الأنبياء، فما الذي يجري في الكيد؟ أنَّ أمراً يبدو ظاهراً بشكلٍ والحقيقة شيءٌ آخر كما في قصة صواع الملك، في قصة صواع الملك، إخوة يوسف صدَّقوا بالذي رأوه ونقلوا هذا الأمر إلى أبيهم، أمَّا أبوهم كان يعلم من الله ما لا يعلمون، ما قال لهم هذا يوسف وهذه خُطَّة، قال اذهبوا فتحسسوا لأنَّه لو قال لهم ذلك ما صدَّقوا به، كانوا يهزأون به.

إذا ذهبنا إلى سورة يوسف حين أعطاهم القميص وطلب منهم أن يُلقوه على وجه أيهم: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ - حينَ خرجت العير من المدينة، من العاصمة، لما خرجت وهي تحملُ قميصَ يوسف - اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا - وهذا القميص كان قميص جده إبراهيم، الروايات هكذا تقول: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا﴾ - ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ - خرجت من المدينة - قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ - شمَّ رائحة القميص على مسافةٍ طويلة، إخوة يوسف كانوا في مصر ويعقوب في فلسطين - إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ - لكنكم سترفضون - قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ - هو هنا أشار فقط إشارة لأنَّ القضية ستُكشَف، باتت قريبة - قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ - أسرته، عائلته - فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ فقد صدقوا بقضية صواع الملك ونقلوها إلى أبيهم واستشهدوا بالشهود، كلُّ ذلك هو صور تُقرب لنا معنى الكيد ومعنى الكيد في الكتاب الكريم إذا أردت أن أتبعه فذلك يحتاج إلى وقتٍ طويل جداً، لكنني أعتقد ما عرضته يكفي لذلك، وسأتناول نماذج من كيد آل محمد في الحلقة القادمة، لأجل ماذا؟ لأجل أن نُشخص أسلوب الحديث وأسلوب القول والعمل في سيرة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والذي هو ركيزة أساسية في منهج لحن القول كي نستطيع أن نفهم ثورة المختار وشخصية المختار فيما جاء من نصوصٍ مادحة أو من نصوصٍ قاذحة، كما قلت سلفاً فالبرنامج ليس برنامجاً تاريخياً، هو برنامجٌ فكري، هو تطبيقٌ عملي وتقريبي لمنهج لحن القول المستل من آيات الكتاب وكلمات العترة الطاهرة، تطبيق لهذا المنهج فيما يتعلق بثورة المختار وشخصيته رضوان الله تعالى عليه.

حديثنا يتواصل إن شاء الله تعالى في الحلقات القادمة وأحتتم البرنامج وقد تجاوزَ الوقتُ بعضَ الدقائق، نذهب إلى زيارة الشيب الخضيب، الملا باسم وخُدام الحسين وأنتم أيُّها المشاهدون وأنا في خدمتكم.

(أشهد أن بولايته تُقبل الأعمال، إمامَ زمانِي، يا وجه الله الذي إليه نتوجه بقية الله، أشهد أن بولايته تُقبل الأعمال وتزكى الأفعال وتضاعف الحسنات وتُمحى السيئات فمن جاء بولايته

وَاعْتَرَفَ بِإِمَامَتِكَ قُبِلَتْ أَعْمَالُهُ وَصُدِّقَتْ أَقْوَالُهُ وَتَضَاعَفَتْ حَسَنَاتُهُ وَمُحِيتْ سَيِّئَاتُهُ وَمَنْ عَدَلَ عَنْ
وَلَايَتِكَ وَجَهَلَ مَعْرِفَتِكَ وَاسْتَبَدَلَ بِكَ غَيْرَكَ كَبَّهُ اللَّهُ عَلَى مَنْخَرِهِ فِي النَّارِ وَلَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ لَهُ عَمَلًا وَلَمْ يُقِمِ
لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنَا) زيارة صاحب الأمر صلوات الله عليه في مفاتيح الجنان.

ألقاكم يوم غدٍ إن شاء الله تعالى على مودّةٍ وولايّةٍ ومحبةٍ مُهجة الحسين، وجه الله الباقي الذي لا يفنى ولا
يهلك الحجة بن الحسن إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه.

سَلَامٌ عَلَى نَحْرِكَ الدَّامِي يَا حُسَيْنٍ...

في أمان الله..

* برنامج " الثائر الحسيني الوفي المختار الثقفي " متوفّر بالفيديو والأوديو على موقع زهرايون

www.zahraun.com